ملخص:

يحتل أدب الطفل مكانة مرموقة عند الأمم،إلا أن هذا الأدب لايمكن أن يحقق نجاحا باهرا ومردودا جيدا لدى الناشئة إلا إذا وجد الوسيلة الفضلى كي توصله لمتلقيه من جمهور الأطفال ، فلا قيمة لتلك الجهود إلا إذا وصلت للطفل وتحسسها واستمتع بها بل وكان له موقف منها إيجابا أو سلبا، لذا جاءت هذه المداخلة البسيطة حتى تعرفنا على أهم الوسائط المستخدمة في المجتمعات وبين الكتاب حتى توصل أدب الأطفال كما ستعرفنا على أكثر الوسائط قربا للطفل.

مقدمة:

مرحلة الطفولة من المراحل الهامة في الحياة، فالأطفال هم عماد المستقبل، مرآة المجتمع التي تحتاج إلى عناية فائقة لكل ما يقدم لها من أجل تنشئتها تنشئة سليمة.

أدب الطفل هو أحد الأنواع الأدبية المتجدد في الآداب الإنسانية، والطفولة هي أولى مراحل بناء الإنسان وأهمها، فأدب الطفل بكل ما يتصل به من مقومات يجبُ أن يحظى بعناية وأهمية كافية، تؤهله بشتى أشكاله القصصية والشعرية والمسرحية لبناء الطفل علميا، وترسيخ الأفكار والمعلومات في ذهنه ترسيخا يكون أبعد تأثيرا وأكثر حضورا وحفظا وتمثيلا.

وأدب الطفولة حسب تعريف "محمد برغيش"هو« النتاج الأدبي الذي يتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم وأعمارهم، وقدرتهم على الفهم، والتذوق، وفق طبيعة العصر، وما يتلاءم مع المجتمع الذي يعيشون فيه» ([[1]](#footnote-2))، إنه النتاج الذي يمكن عدّه الوسيط الملائم لنقل الجوانب التربوية والتعليمية « وتنمية القدرات الذهنية، واستقرار الجوانب النفسية لدى الطفل (...) بالإضافة إلى منحه الشعور بالرضي والثقة بالنفس، وحب الحياة والطموح للمستقبل، ويؤهله لكي يكون إنسانا ايجابيا في المجتمع» ([[2]](#footnote-3)).

ومن هذه التعاريف يمكننا القول أن الوسيط في أدب الأطفال هو كل أداة يمكن استخدامها في نقل معلومة أو فكرة أو ثقافة قصد تنشئته ، بل هو كل معين يتم من خلاله نقل أدب الأطفال إلى جمهوره ولكل وسيط لغته أيضا في الكتاب والصحيفة والمسرح والتلفزة والإذاعة والكمبيوتر فالكاتب وهو يعد عملا أدبيا فإنه يفكر بالوسيلة التي سوف توصل هذا العمل إلى المتلقي الطفل، لكن العمل المقدم للطفل قد ينجح مع وسيط وقد يفشل مع آخر؛والفشل والنجاح يعود إلى نوعية الوسيط ولكل وسيلة طريقة خاصة بها لتقديم أي عمل أدبي، وهو ما يطلق عليه الوسيط العنصر الأساسي و الفعال و الحيوي وفي العملية التي يتم بموجبها الاتصال مع الأطفال.

**أهمية الوسيط للأطفال:**

يقوم الوسيط برسالة ضرورية في مجال أدب الأطفال، وبالضرورة يجب أن يدخله الكاتب في اعتباره عندما يكتب، مع وجوب احترامه للمرحلة العمرية التي يخاطبها.

- للوسيط إمكانيات فنية وتقنية تجذب الأطفال وتشدهم إليه، فهو صالح لتوصيل الفكرة المعدة إليهم ويساعد على إبرازها.

- يمثل الوسيط حلقة مهمة في منظومة الإيصال للأطفال والتي تشمل الكاتب أو الأديب، والرسالة أو الموضوع الذي يقوم بتقديمه بعد إبداعه من خلال الوسيط الملائم، الجمهور وهو من جمهور الأطفال بمراحله المختلفة، وأخيرا رد فعل أو التغذية المرتدة من الأطفال([[3]](#footnote-4)).

فلابد للوسيط أن يكون جيدا لكي ( يضع العمل الأدبي في مكانة خاصة تتفق مع طبيعته التي تميزه عن غيره من الوسطاء، وهو في هذا يضفي على العمل الأدبي ألوانا من التشويق تجعله أكثر اقترابا من نفوس الأطفال، وتجعلهم أكثر حرصا عليه، وسعيا وراءه كما تجعل تأثيره في أنفسهم أعمق و أبقى) ([[4]](#footnote-5)).

وينطبق هذا الكلام في عصرنا الحالي على كل ما يتعلق بالعالم الافتراضي كالحاسوب، والرقمنة والأقراص المضغوطة والتلفاز، لأنها من أحب الوسائط إلى الأطفال لما تمثله التقنيات المعتمدة عليها كالصورة والحركة والألوان من عوامل جذب لهم ولعقولهم ومداركهم.

**وسائط توصيل أدب الطفل:**

عديدة الوسائط الخاصة بأدب الأطفال فقد يكون الوسيط مجلة، أو كتاب، أو صحيفة، أو مسرحية، أو فيلما سينمائيا، أو برنامجا إذاعيا، أو برنامجا تليفزيونيا، أو شريط كاسيت، وقد يكون الوسيط هو القائم برواية أو حكي الحكاية مثل الأم أو المعلمة أو الجدة، فالإنسان هو الوسيط الأول ولكن هذا الوسيط ليس له التأثير نفسه كما في الوسائط الأخرى التي تحتل الصدارة من حيث التأثير على عدد كبير من جمهور الأطفال وبدون حدود.

إننا أمام وسائط مرئية كالتلفزيون، والحاسوب وهي من أهم الوسائط المؤثرة في الطفل. ( فقد أثبتت الدراسات العلمية أن الأطفال يقضون وقتا طويلا أمام شاشات التلفزيون، يفوق الوقت الذي يقضونه داخل جدران المدرسة، أما عن الحاسوب فأهم ما يشدهم فيه اتصاله بشبكة الإنترنت ومواقع الألعاب المختلفة) ([[5]](#footnote-6)).

ناهيك عن دخول الهواتف النقالة حيز الاستخدام الطفو لي، وكل هذا عائد إلى غياب دور الأسرة في توجيه الأطفال توجيها سليما نحو هذه الوسائط وكيفية استخدامها.

أما الوسائط المكتوبة فمنها المجلات والكتب والصحف والقصص، وسنشير إلى هذه الوسائط مركزين على دور التلفاز والانترنيت في ثقافة الطفل.

**1- كتب الأطفال:**

يمتاز الكتاب بمميزات تجعله يتفوق على وسائط الأدب الأخرى، فالمعلومات التي يقدمها يمكن الرجوع إليها في أي وقت لإعادة قراءتها على العكس من بقية الوسائط يقول الأستاذ « أحمد نجيب» الكتاب ( شيء صغير مسحور، العالم كله بين دفتيه، ويخلق بقارئه في عوالم أخرى بعيدة وقريبة ... ثم هو يغوص به في أعماق البحار، ويصعد به إلى قمم الجبال... ويخترق معه الغابات والأدغال ويعيش معه في جحر الأرنب وفي عرين الأسد ويسمعه أصوات الحيوانات و الطيور، ويترجم كلماتها، ويحكي له الطريف من أقاصيصها ويطوف معه بعجائب العالم وغرائب النباتات والمخلوقات.... ويرحل به إلى العوالم البدائية..) ([[6]](#footnote-7)).

وكذلك فإن الكتاب رخيص الثمن ويتيح للقارئ فرصة كبيرة للتخيل والتأمل ولا يحتاج إلى أجهزة يشغلها كما أنه في متناول اليد وليس له مواعيد كما هو الحال في الوسائل المسموعة والمرئية([[7]](#footnote-8))، هذا هو الكتاب الوسيط الأول والرئيسي بين الأطفال وأدبهم، ويرى الخبير الفرنسي « موريس فلورانت» ( أن كتب الأطفال تقودهم إلى التفكير والتأمل وطرح الأسئلة على أنفسهم وعلى الآخرين وتؤهلهم للمرحلة التالية مرحلة المراهقة) ([[8]](#footnote-9)).

يعتبر الكتاب الوسيط الأول ومنه تتفرع كثير من الوسائط الأخرى فالمسرحية تكتب في كتاب أولا والقصة كذلك، والفيلم أيضا والقصيدة والأنشودة.

تقسم كتب الأطفال إلى أنواع من حيث المضمون إلى كتب علمية، قصصية، اجتماعية، دينية، شعرية، دوائر المعارف، النوادر الفاكهية، المعاجم، أما من حيث الشكل الفني للكتاب نجد مثلا الكتب المصورة وهي أكثر الكتب استمالة للطفل في عمره الأولى ما قبل المدرسة، لأن الصورة تعني له الكثير من الكلمات خاصة إذا كانت معبرة وفيها الكثير من التفاصيل، ونجد أيضا إلى جانبها المسرحيات الشعر، القصص([[9]](#footnote-10)).

**- صحف الأطفال ومجلاتهم:**

الصحف والمجلات أقرب الوسائط إلى الكتب فهي تستعمل الكتابة و الرسم و الصورة، وتصل إلى جماهير الأطفال عن طريق المطبعة في أبهى حلة ( وهي مثل الكتب تستطيع أن تقدم القصص والمسرحيات والأغاني، ولكنها مفيدة بمساحات يجب أن توزع على عدد كبير من المواد والأبواب، ولهذا فإن القصة فيها أو المسرحية إما أن تكون قصيرة بحيث تستوفيها المسافة المتاحة، وإما أن تكون متسلسلة في شكل حلقات) ([[10]](#footnote-11))، وتصدر الصحف و المجلات أسبوعيا، أو شهريا، أو سنويا .

لصحافة الأطفال دور مهم في تنمية الطفولة ( عقليا وعاطفيا واجتماعيا، وأدبيا، لأنها أداة توجيه وإعلان وإمتاع وتنمية للذوق الفني، ونقل القيم و المعلومات والأفكار والحقائق، و الإجابة عن أسئلة الأطفال، وإشباع حاجياتهم، وتنمية ميولهم القرائية، وهي بهذا تؤلف أبرز أدوات تشكيل ثقافة الطفل في وقت أصبحت الثقافة فيه أبرز الخصائص التي تميز الفرد عن ذاك وهذا الشعب عن ذلك) ([[11]](#footnote-12)).

ظهرت صحف الأطفال في حوالي منتصف القرن الثامن عشر (18) في فرنسا، حيث أصدر أديب اتخذ لنفسه اسما مستعارًا « صديق الأطفال» عام 1747 صحيفة للأطفال.

أما في عالمنا العربي فإن أول مجلة عربية للأطفال كانت مجلة ( السند باد) 1952 صدرت عن دار المعارف وقد اتسمت بالجدية والإتقان.

الأكثر شيوعا لدينا المجلات الأسبوعية يليها المجلات الشهرية، ثم السنوية، أما بالنسبة للمضمون، فنجد الصحف الجامعة والملمة، الهزلية الرياضية الإخبارية الدينية وغيرها، أما إذا احتكمنا في تصنيفها إلى المراحل العمرية، فنجد صحف للأطفال ما قبل المدرسة، صحف للأطفال من سن السادسة إلى الثامنة، وصحف للأطفال من الثامنة إلى الثانية عشر([[12]](#footnote-13)).

**ثالثا: الإذاعة والتلفاز:**

الإذاعة والتلفاز تعملان من خلال التركيز على حاستي السمع والبصر، ولا يستعملان الكتابة والطباعة وبالتالي لا يحتاجان من الأطفال إلى مستوى معين من القدرة على القراءة.

1. **الإذاعة:**

تتميز الإذاعة بأنها وسيلة متميزة في التعبير بالصوت، لذلك فهي ( تستعمل كل ما يصل إلى الأطفال عن طريق السمع، لمؤثراتها الصوتية والموسيقية والمقدرة التمثيلية، ونبرات الصوت المختلفة، وما يتصل بها من القدرة على تقديم أصوات الحيوانات والطيور، والصور الصوتية المختلفة في حفلات المدارس، وفي البرامج والمسابقات والتمثيليات الخاصة بالأطفال) ([[13]](#footnote-14))، يبدو أن هذا الوسيط السمعي لا يبتعد عن القراءة والمشاهدة، لذا فهو يتيح للطفل مجالا واسعا للتخيل ورسم الصور الذهنية لتلك العبارات والأصوات التي يتلقاها.

البرنامج الإذاعي يفتقر إلى الأضواء والديكور وحركة الممثلين، لهذا فإن ( الصوت الإذاعي يتحمل أعباء كبيرة في نقل النص المكتوب إلى الطفل بصورة جذابة لكي يشد أذن الطفل إلى المذياع بمساعدة الأصوات البشرية والحيوانية، إنها وسيلة إعلامية تثقيفية تعتمد الكلمة المنطوقة و المسموعة كوسيلة اتصال، تنقل المادة إلى المتلقي بالتأثير على حاسة السمع، وهي صادرة بحكم طبيعتها على تقديم مختلف فنون أدب الأطفال) ([[14]](#footnote-15)).

ومن شروط كاتب الأطفال الإذاعي أن يكون عالم بالاعتبارات التربوية و السيكولوجية والفنية العامة، وعليه أن يكون على دراية ومعرفة بخصائص الكتابة الإذاعية وإمكانات العمل الإذاعي([[15]](#footnote-16))، ومن بين هذه الخصائص نذكر قصر النص لأن الطفل كثير الشرود، اللغة بسيطة، الأساليب المشوقة لشد انتباه الطفل، وانطلاقا من هذه الخصائص ينبغي أيضا ذكر عناصر الإذاعة وهي: الصوت البشري، والموسيقى، والمؤثرات الصوتية.

**التلفاز:**

يعد عنصر جذب واستقطاب للكبار والصغار على حد سواء، فهو يحول الخيالات إلى حقائق مرئية، كما يحول القصص المحكية إلى صور متحركة فيها نشاط وفيها حيوية، ويستطيع أن ينقل الأطفال إلى أماكن لا يمكنهم الوصول إليها مثل: أعماق البحار والغابات، السحب وغيرها فهو بالنسبة للطفل العصا السحرية التي تعطيه كل ما يرغب في مشاهدته، ويختلف عن الإذاعة في أمور كثيرة فهو يزيد على عناصرها الثلاث السالفة الذكر، المؤثرات البصرية والحيل السينمائية، وتوزيع الإضاءة وما إلى ذلك وجميعها عناصر أسهمت بشكل كبير في تحوله إلى الوالد الثالث بالنسبة للطفل، لأنه يقضي ساعات طويلة معه فـ( بفضل الصورة حظي التلفاز بثقة مشاهديه وتصديقهم له، لأن الصورة من الوسائل التي لم يرقى إليها الشك، وحين ترتبط الصورة بالحركة والصوت فإن ذلك أكثر مدعاة إلى الثقة) ([[16]](#footnote-17)).

ولما كان التلفاز وسيلة حضارية ونقله ثقافية تهم الكبار والصغار، فيجب أن يستغل بطريقة يستفيد منها الأطفال، لكن شتان بين الواقع و المأمول فالواقع أن الأسرة العربية اليوم استقالت عن وظائفها وتركت الفرصة للتلفاز كي يقوم مقامها، فنجد الطفل منذ سن مبكرة وهو يشاهد التلفاز وفي هذا ضرر على الصحة النفسية والجسدية، وحتى العقلية.

أما المأمول فيمكن في استيقاظ هذه الأسرة من سباتها لأننا أما سلاح ذو حدين وجب الحذر من استغلاله والتعرف على البرامج الملائمة للطفل حسب كل مرحلة عمرية، بالإضافة إلى حجم الساعات التي يجب أن يقضيها هؤلاء الأطفال أمام هذه الشاشات ( فالتلفاز يكسب الأطفال أنماطا من السلوك الاجتماعي في حياتهم الاعتيادية وبيئتهم المحدودة، كما انه يؤدي دورًا مهما – سلبيًا أو إيجابيًا- في عملية التكيف الاجتماعي التي تسهم فيها الأجهزة الأخرى كالأسرة والبيئة) ([[17]](#footnote-18)).

يعد التلفاز أشد وأسرع أنواع الوسائط تأثيرا في الطفل، ويتجلى ذلك بصورة واضحة فيما يسمى بالرسوم المتحركة، التي تعني ( شكل ما أشكال الفن السينمائي، المحببة إلى الأطفال وإلى الكبار أيضا، يعرض في كل محطات التليفزيون وبمساحات كبيرة وفكرة الرسوم المتحركة فكرة قديمة، غلا أنها لم تتحول إلى واقع ملموس إلا سنة 1906 على يد الفنان الأمريكي ستيوارت بلاكتون S. Blakton صاحب فيلم " الوجوه الضاحكة")([[18]](#footnote-19)).

ومادام التلفاز بهذا التأثير فقد وجب الانتباه إلى اللغة التي تقدم بها الصور المتحركة لأنها بعيدة كل البعد عن الخصائص الراسخة في الثقافة العربية والإسلامية وأصالتها " فثمة مشكلة لغوية خطيرة هي تأثير لغة الصورة والاتصالات البصرية من جهة وتأثير المعلوماتية على الطفل وعلى اللغة العربية في حد ذاتها" التي وجدت نفسها أمام تحديات عصرية بالغة الخطورة على أبنائها وصناع مستقبلها.

لم يعد الآباء المرهقين بمشاغل الحياة وأعبائها بقادرين على متابعة أبنائهم، طيلة مراحل التعليم المختلفة وأمام هذا القصور لم يجد الطفل بديلا إلا التحول والتربع لوقت طيلة أما الصندوق العجيب التلفاز قصد التسلية والترفيه وليس التثقيف كما يعتقد البعض؛ فأ.

سابقا كنا نتكلم ونرسم بالكلمات أما اليوم فقد تحول الرسم بالكلمات بعد أن جاءت الألعاب والصورة فسرقت متعة الكلمات ودخل الطفل دهاليز الصورة والخيال والحركة والألوان؛ فثمة خلل يحتاج إلى مراجعة طريقة استخدام المعلوماتية في تعليم اللغات خاصة لدى أولائك الذين يضنون أن التلفزيون يساعد على تعلم اللغة ،فكثير من الباحثين يسعون إلى تدعيم عادة القراءة لدى الأطفال من خلال الإذاعة والتلفزيون و"يشير بعضهم إلى تسريع القراءة من أجل استيعاب أفضل عبر تقنات علمية"ص242

سأكتفي بإشارة إلى العنف اللغوي الذي أصبح لسان حال الطفل العربي اليوم والاتهام موجه لتلك الصور والقصص التي يشاهدها الطفل عبر التلفاز" لأن الأطفال يقضون جل أوقاتهم في مواجهة هذا الصندوق العجيب الذي يستهلك أوقاتا يمكن أن يقضيها الأطفال في القراءة التي تزيد من حجم قاموسهم اللغوي وتوسيعه وصقل مواهبه بمختلف الأهداف التي تنعم بها تلك الكتب. إننا بحاجة ماسة إلى إعادة توجيه الطفل إلى قراءة الكتب، فعند نجاحه في الامتحان من الأفضل اقتناء مجلة أو كتاب أو قصة بدل من اقتناء طائرة أو سيارة متحركة فالخطر يبدأ من الأسرة والحل كذلك.

تتفاقم خطورة اللغة العنيفة الموجهة للأطفال كلما زاد سبات الأسر واستقلالها عن أدوارها، ويمكن أن نشير إلى بعض الأمثلة الصورة المتحركة المعنونة بـ

بان تان و الحاسوب والانترنيت:

تعد الحواسيب من الظواهر التكنولوجية المهمة والمعقدة التي سهلت الشيء الكثير على الانسان فبواسطتهااستطاع التنقل عبر الشاشة الزرقاء والتعرف على الكثير من المعلومات بسرعة فائقة ونقلها والتعامل عها في وقت وجيز فالحاسوب يستطيع القيام بالعمليات الحسابية المعقدة التي يصعب تنفيذها يدويا بالاضافة الى القدرة على تخزين كم هائل من المعلومات بطريقة منظمة بحيث يسهل استرجاعها في أوقات ضئيلة للغاية

أيا كان نوع الوسيط فهو يقوم برسالة ضرورية في مجال أدب الأطفال، وبالضرورة يجب أن يدخله الكاتب في اعتباره عندما يكتب، لأنه وسيلته وأدائه لتوصيل أفكاره لهذا المتلقي الناشئ.

()- محمود إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ص85.

()- على كنعان، فرح سليمان، أدب الأطفال، وثقافة الطفل، ص 149.

()- المرجع السابق، ص 86.

()- المرجع السابق، ص 87.

()- ينظر: علي كنعان، أدب الأطفال وثقافة الطفل، ص 152.

()- المرجع نفسه، ص 154.

()- ينظر: علي كنعان: أدب الطفل، ص 156، ومحمود إسماعيل المرجع في أدب الطفل، ص 88.

()- علي كنعان، أدب الطفل، ص 176.

()- هادي نعمان الهتي، أدب الأطفال، ص 231.

()- ينظر: محمود إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ص 98.

()- عبد الفتاح أبو معال، أدب الطفل وثقافة الطفل، ص 218.

()- علي كنعان: أدب الأطفال، ص 179.

()- عبد الفتاح أبو معال: أدب الطفل وثقافة الطفل، ص 218.

()- علي كنعان: أدب الطفل، ص 183.

()- المرجع نفسه، ص 184.

()- محمود إسماعيل، المرجع في أدب الطفل، ص 106.

1. () – محمد حسن بريغش: أدب الأطفال –أهدافه وسماته-، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص46. [↑](#footnote-ref-2)
2. () – حسن شحاتة: أدب الطفل العربي، دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، 2004، ص12. [↑](#footnote-ref-3)
3. ()- محمود إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ص85. [↑](#footnote-ref-4)
4. ()- على كنعان، فرح سليمان، أدب الأطفال، وثقافة الطفل، ص 149. [↑](#footnote-ref-5)
5. ()- المرجع نفسه، ص 86. [↑](#footnote-ref-6)
6. ()- المرجع السابق، ص 87. [↑](#footnote-ref-7)
7. ()- ينظر: علي كنعان، أدب الأطفال وثقافة الطفل، ص 152. [↑](#footnote-ref-8)
8. ()- المرجع نفسه، ص 154. [↑](#footnote-ref-9)
9. ()- ينظر: علي كنعان: أدب الطفل، ص 156، ومحمود إسماعيل المرجع في أدب الطفل، ص 88. [↑](#footnote-ref-10)
10. ()- علي كنعان، أدب الطفل، ص 176. [↑](#footnote-ref-11)
11. ()- هادي نعمان الهتي، أدب الأطفال، ص 231. [↑](#footnote-ref-12)
12. ()- ينظر: محمود إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ص 98. [↑](#footnote-ref-13)
13. ()- عبد الفتاح أبو معال، أدب الطفل وثقافة الطفل، ص 218. [↑](#footnote-ref-14)
14. ()- علي كنعان: أدب الأطفال، ص 179. [↑](#footnote-ref-15)
15. ()- عبد الفتاح أبو معال: أدب الطفل وثقافة الطفل، ص 218. [↑](#footnote-ref-16)
16. ()- علي كنعان: أدب الطفل، ص 183. [↑](#footnote-ref-17)
17. ()- المرجع السابق، ص 184. [↑](#footnote-ref-18)
18. ()- محمود إسماعيل، المرجع في أدب الطفل، ص 106. [↑](#footnote-ref-19)